

# إمارة بني دلغادر التركمانية وعلاقتها بالقوى المجاورة لها

(٧٤٠-٩٢٢هـ / ١٣٣٩-١٥١٦م)

دكتور/ عبد الغني عبد الفتاح زهرة

أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة

بكلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر

## مدخل:

أدى انهيار سلطنة سلاجقة الروم إلى ظهور العديد من زعماء التركمان<sup>(١)</sup> في أقاليم آسيا الصغرى الذين عملوا على إنشاء إمارات خاصة بهم، ومن أبرز هذه الإمارات التي استطاع التركمان إقامتها في جنوب آسيا الصغرى، إمارة بني دلغادر، وكان من المفروض أن تكون هذه الإمارة تابعة لسلطنة المماليك في مصر والشام، لكن أمراء هذه الإمارة لم يستمروا على ولائهم للمماليك، وإنما عملوا على استغلال الظروف المناسبة للخروج على سلطنة المماليك ومهاجمة أراضيها، بل والتجراً على السلطان المملوكي أحياناً مما سبب لدولة المماليك الكثير من المتاعب على حدودها الشمالية، هذه الحدود التي اتبع فيها سلاطين المماليك سياسة عسكرية تقوم على أساس اعتبار منطقة الثغور الممتدة من طرسوس وحتى الفرات حزاماً آمناً، وحاجة ملحة للحماية من الاعتداءات الخارجية مما شكل الهيكل العام للسياسة العسكرية الدفاعية لدولة سلاطين المماليك.

ومن هنا يمكن تفسير مدى اهتمام السياسة العسكرية المملوكية بإمارة بني دلغادر باعتبارها أحد خطوط الدفاع الداخلية ضد أعدائها، لذا أوكل المماليك إلى بني دلغادر الذين تركزوا حول البستان مهمة حماية درب الحدث على طول ثغور الجزيرة<sup>(٢)</sup>، ولم يكن أمراء بني دلغادر سوى نواب وولاة لسلاطين المماليك، والحقيقة أن بني

---

(١) - التركمان شعب تركي منتشر في بلاد التركستان والقوقاز ولقد اختلف الباحثون في اصل هذا الشعب فلم يهتدوا إليه سبيلاً، فمنهم من يرى أن بلادهم كان يسكنها قديماً قوم يقال لهم الترغماس، وحرفت هذه الكلمة إلى التركمان، ويرى بعضهم أن أصلهم صينيون، بينما يرى آخرون أن التركمان فرع أصلي للشعب التركي، وهم من أبرز الشعوب التركية في التاريخ السياسي إلى جانب العنمانيين الأتراك، وقد استقرت أعداد كبيرة منهم في آسيا الصغرى. دائرة المعارف الإسلامية ج.ص ١٧٥، محمد فريد وجدي - دائرة معارف القرن العشرين - ج ٢ ص ٦٧١.

(٢) - اعتمدت الدولة المملوكية النظام الإسلامي القديم الذي عرف بالعواصم والثغور، وأجرت عليه بعض التعديلات، ولقد عرفت العواصم بأنها الحصون المنيعية التي كان المسلمون يعتصمون بها فتحميهم من العدو، وكانت تحيط بالمنطقة الواقعة بين حلب وأنطاكية، ومركزها الإداري أنطاكية أو منيخ، ويدخل عليها التعديل بحسب التراتيب الإدارية، أما الثغور فهي الحصون التي بنيت على تحوم الشام والجزيرة لصد غزوات الروم، لذلك سميت بالثغور الرومية، وتبدأ هذه المنطقة من طرسوس وتمتد على جبال طوروس إلى ملطية، ثم إلى الفرات، وهي بمثابة الحزام الأمني الذي يحمي منطقة العواصم التي على الحدود من غارات العداء، وكانت منطقة الثغور تنقسم إلى قسمين: الثغور الشامية وتمتد بموازاة جبال طوروس، وتشمل: سيس، الهارونية، المصبصة، أذنة، طرسوس، إباص، وهي تؤمن الحماية لمرفئ بلاد الشام وثغور الجزيرة وتمتد بموازاة جبال طوروس وتشمل ملطية، الحدث، مرعش، وتضم من جهة الشرق البيرة، وجعبر والرها، ومن خلال هذا التقسيم يتبين أن الحصون الحدودية التي حمت درب الحدث قد شكلت ثغور الجزيرة، أما الحصون التي حمت درب طوروس وممرات بلاد الشام قد شكلت

دلغادر قد ربطتهم بسلطنة المماليك علاقات متقلبة بين الخضوع والتبعية حيناً والثورة والعدوان أحياناً، مما جعل هذه المنطقة تعاني الكثير من الإضرابات والصراعات في الوقت الذي كانت فيه مناطق الأناضول الجنوبية الشرقية والمناطق والمتاخمة للشام شمالاً خاضعة لنفوذ المماليك في كثير من الأحيان، وكانوا يولونها أهمية خاصة لأنها تؤمن سلامة الأراضي الواقعة شمال الشام، وعليها يعتمد المماليك في شئون الأمن والدفاع عن الأطراف الشمالية لسلطتهم، ولذا كان المماليك يسعون إلى تعيين أمراء وحكام مواليين لهم هناك، وكانوا يتصدون لثورات أمراء التركمان بالقوة حتى يعودوا خاضعين للنفوذ المملوكي.

وهذا ما سوف يتناوله البحث من خلال علاقات إمارة بني دلغادر بسلطين المماليك في مصر والشام، والقوى الأخرى المجاورة لهم.

قيام إمارة بني دلغادر:

وصل أبناء دلغادر إلى الأناضول مع هروب التركمان من وجه الهجوم الوحشي المغولي في أيام جنكيزخان<sup>(١)</sup>، وكان يرأس هذه العشيرة أمير يقال له "دلغادر"<sup>(٢)</sup>، استقر بهم في نواحي البستان<sup>(٣)</sup>، ومرعش<sup>(٤)</sup>، ويرى المؤرخ القرماني أنهم يزعمون أن نسبهم ينتهي إلى كسري أنوشروان ملك فارس<sup>(٥)</sup>، إلا أن المؤرخ التركي خليل أدهم ألدن ينكر ذلك، ويرى أنه لا يمكن التسليم بصحة هذا الادعاء رغم أنهم كانوا يذكرون جددهم في النقود باسم "دلغادر الساساني"، ويذكرونه في الخطبة على المنابر بهذا الاسم<sup>(٦)</sup>، وأنهم يعودون في أصولهم إلى طائفة التركمان، لأن المؤرخ ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) وكان معاصراً لهم قد وصفهم بذلك، وأشار إلى أنهم من التركمان<sup>(٧)</sup>، وبعد أن استوطنوا نواحي البستان ومرعش كثروا واستفحل أمرهم، حتى ملكوا المنطقتين، وضموا إليهما ملطية وعينتاب وعزاز وخرבות وبهنسي ودرانده وقيد شهري وقيسارية وحسن منصور وبلاد

الغور الشامية، القلقشندي - صبح الأعشى - ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٤؛ ياقوت - معجم البلدان - ج ٣ ص ١٠٧، القرماني - أخبار الدول - ج ٣ ص ٣٢٤، دائرة المعارف الإسلامية - ج ٦ ص ٣، ٢، غيث أحمد نافع - العلاقات العثمانية المملوكية - ص ٣٢.

(١) - محمود شاكر - التاريخ الإسلامي - ج ٨ ص ٥٥.

(٢) - يختلف ورود هذا الاسم بين الكتب العربية والكتب الأجنبية، حيث جاء بصور مختلفة هي: دلغادر - ذولفادر - ذلقادر - دلقدور - ذو القدر - ذا القادر، ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى الكتب الأجنبية التي تستعمل الأحرف اللاتينية، إذ لا وجود لحرف الغين فيها، تحولت الغين إلى قاف كما ترجمت ذو بمعنى صاحب، ومن هنا جاء هذا الاختلاف، ويرى البحث أن الصيغة الصحيحة هي "دلغادر" كما وردت عند المؤرخين العرب، الذين شهدوا ولادة هذه الإمارة، مثل ابن الوردي، وابن تغري بردي، وابن حجر العسقلاني. تاريخ ابن الوردي - ج ٤ ص ٤٨٥، النجوم الزاهرة - ج ١٥ ص ٢١١، إنباء الغمر - ج ٨ ص ٣٤٣، خليل أدهم ألدن - تاريخ الدول الإسلامية - ج ٢ ص ٤٢٩، محمد أحمد دهمان - العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك - ص ٢٣.

(٣) - البستان وأبلستين مدينة مشهورة ببلاد الروم تقع شرق قيسارية وهي من مدن الغور أيام الروم وتقع حالياً جنوب تركيا. دائرة المعارف الإسلامية - ج ١ ص ٧١٠، صفى الدين عبد المؤمن - مرصد الإطلاع ج ١ ص ١٨، كي ليسترنج - بلدان الخلافة الشرقية - ص ١٧٩.

(٤) - القرماني - أخبار الدول - ج ٣ ص ٩٩.

(٥) - المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

(٦) - خليل أدهم ألدن - تاريخ الدول الإسلامية - ج ٢ ص ٤٢٩.

(٧) - ابن الوردي - تاريخ بن الوردي، ج ٢ ص ٤٨٥.

سيس وقارص وضماني<sup>(١)</sup>، أي أن هذه الإمارة قامت على معظم البلدان التي كانت تقوم عليها أرمينية الصغرى<sup>(٢)</sup>، وقد حكمت أسرة دلغادر هذه المنطقة وما حولها ما يزيد على مائة وثمانين عاما، أي من سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م إلى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، ثم دخل أمراؤها تحت النفوذ العثماني إلى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م، وكانت هذه المنطقة من مناطق الحدود بين الدولتين المملوكية والعثمانية<sup>(٣)</sup>.

زين الدين قراجا وتأرجح سياسته بين الولاء والعداء للمماليك:

أول من أقام حكومة من أسرة دلغادر "زين الدين قراجا بن دلغادر" حيث يعد المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة<sup>(٤)</sup>، فقد تمكن من تقوية نفسه في منطقة ألبستان ثم أعلن استقلاله بإمارته سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م<sup>(٥)</sup>، وقد بدأت العلاقات بين بني دلغادر والمماليك منذ وقت مبكر، فقد استطاع زين قراجا المؤسس الأول لإمارة بني دلغادر اكتساب ثقة السلطان المملوكي، حيث أعلن تبعيته للدولة المملوكية التي اعترفت به كنائب على ألبستان من قبلها، وخاصة بعد أن نجح في إخضاع حاكم آسيا الصغرى المغولي للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٦)</sup>.

وتمكن بعد ذلك من السيطرة على قلعة درندة<sup>(٧)</sup> وأقام بها الدعوة للسلطان المملوكي، الذي أخذها منه وأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام<sup>(٨)</sup>، ويبدو أن هذا العمل قد اغضب الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر الذي أعلن خروجه عن طاعة السلطان المملوكي، وورد الخبر بخروجه سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م<sup>(٩)</sup>.

وفي العام التالي أرسل الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى نائب حلب<sup>(١٠)</sup> رسالة إلى السلطان المملوكي يخبره فيها بخروج الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر عن الطاعة، وأنه جمع جموعا كثيرة من التركمان، وبعد العدة

(١) - القرماني - أخبار الدول - ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) - قامت مملكة أرمينية الصغرى في إقليم قيليقية بين جبال طوروس والبحر المتوسط، وامتدت حتى حدود إمارة أنطاكية، وضمت مدن المصيصة وأذنة وطرسوس ومعظم مدن الساحل إلى الغرب من طرسوس، واتخذت سيس عاصمة لهذه الإمارة، وكان لها دور في الحركة الصليبية بحكم موقعها الجغرافي بين القوى الإسلامية والمسيحية في الشام والعراق وآسيا الصغرى، وقد سقطت هذه المملكة على يد سلاطين المماليك سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م. د/ جمال الدين سرور - دولة بني قلاوون ص ٢٣١، خاشع المعاضيدي - تاريخ الوطن العربي ص ٢٧٩.

(٣) - محمد أحمد دهمان - العراق بين المماليك والعثمانيين الأتراك - ص ٢٥.

(٤) - د/ أحمد فؤاد متولي - الفتح العثماني للشام ومصر - ص ٦٤.

(٥) - خليل ادهم ألد - تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٣٤٠.

(٦) - د/ محمد سهيل طقوش - تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام - ص ٢٧٧ (دار النفائس ط أ سنة ١٩٧٧م).

(٧) - نزل المسلمون درندة بعد أن فتحها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م، وبنوا بها مساكن، وهي من ملطية على ثلاث مراحل وداخلية في بلاد الروم. ياقوت - معجم البلدان - ج ٤ ص ٣٢.

(٨) - المقرئ - السلوك لمعرفة دول الملوك - ج ٣ ص ٢٨١ - دار الكتب العلمية بيروت - ط أ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٩) - المصدر السابق - ج ٣ ص ٢٩٦.

(١٠) - كانت نيابة حلب تتمتع بأهمية خاصة في عصر المماليك نظرا لخطورة موقعها على الأطراف الشمالية لدولة المماليك، مما جعلها محورا لكثير من أحداث العلاقات المضطربة بين المماليك من ناحية والتركمان من ناحية أخرى، لذلك اشتملت نيابة حلب على عدد كبير من النيابات الصغرى ليس له مثيل في بقية نيابات الشام، ومن هذه النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب قلعة الروم، ونيابات الكختا وكركر

للهجوم على حلب، ويطلب نجدة عسكرية من مصر<sup>(١)</sup>، فأمر السلطان المملوكي نائب الشام الأمير الطنبغا الصالحي بالمسير بالجند المملوكي لنجدته، حيث التقوا بالأمير قراجا وأعوانه، ودار قتال بين الطرفين، ولم يتمكن المالكي من هزيمة الأمير قراجا الذي عاد إلى الأبلستين وقد قوى أمره<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا العام تولي السلطنة بمصر السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون، ولعل الأمير قراجا بن دلغادر أراد التقرب إلى السلطان المملوكي الجديد فأتى إليه مهنتا في ذي القعدة سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، ويذكر المقرئ أن السلطان أنعم عليه بإنعامات كثيرة، وكتب له بالإمرية على التركمان في نيابة الأبلستين<sup>(٣)</sup> إلا أن العلاقات بين الأمير قراجا والمالكي لن تسر سيرها الطبيعي، وخاصة في العام التالي عقب تولي أمور السلطنة للسلطان عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، حيث ورد الخبر بخروج قراجا بن دلغادر عن طاعة السلطان المملوكي الجديد، مما دفع الأمير يلبغا الحياوى نائب حلب إلى التحرك بعسكره سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م لقتال ابن دلغادر، والتقى به عند جبل الولدل إلى جانب جيحان، ففر بن دلغادر إلى الجبل حيث اعتصم به، واتخذ منه موقعا حصينا للتصدي للقوات المملوكية التي نُهبت أثقاله، وأخذت بعض حريمه، وصعدوا إليه، فقاتله هو ومن معه، وتمكن من التغلب على الجند المملوكي بقيادة يلبغا الحياوى، وقد وصف أبو الفدا في تاريخه ما حدث في هذه المعركة بقوله: "... وقلت في العسكر وأسر وجرح وما نالوا منه طائلا فكبر قدره بذلك، واشتهر اسمه وعظم على الناس شره، وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا"<sup>(٤)</sup>.

### عودة الولاء للدلغادري للسلطان المملوكي:

ما إن علم السلطان المملوكي بما حدث من نائب حلب حتى بادر بالكتابة إليه منكرًا ما حدث منه، ومعنفا له على فعله هذا<sup>(٥)</sup>، ويبدو أن السلطان أراد إصلاح ما بين الدولة المملوكية وإمارة بني دلغادر، فأرسل في العام التالي سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م أمانا إلى الأمير قراجا بن دلغادر، وأفرج عن حريمه اللاتي كن في حلب وأرسلهن إليه، وأقره في إمارة الأبلستين<sup>(٦)</sup>، وقد بادر قراجا بن دلغادر بإعلان طاعته للسلطان المملوكي مع كتاب منه بصحبة أخيه وابن عمه يحدد فيه الولاء والطاعة، فأنعم عليه السلطان ببعض الأراضي القريبة منه والتي كانت

---

وبهنسي وميساط وعينتاب ودريساك والرواندان وبفراس والقصور والشجر وبكاس، بالإضافة إلى عدد آخر من النيابات الصغرى التي كانت تقع خارج حدود الشام ولكنها تتبع نيابة حلب بحكم ملكية دولة المالكي لها، ومعظم هذه النيابات الصغرى الأخرى كانت داخل بلاد الأرمن، مثل ملطية وديركي ودرندة والأبلستين وإياس وطرسوس وأذنة. القلقشندي - صبح العشى - ج ٤ ص ٢٢٦-٢٢٧، د/ سعيد عاشور - مصر والشام في عصر الأيوبيين والمالكيين - ص ٣٢٥. دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - د.ت.

(١) - المقرئ - السلوك - ج ٣ ص ٣٣٥.

(٢) - المصدر السابق - ص ٣٤٧.

(٣) - المصدر السابق - ص ٣٦٤.

(٤) - أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ١٦٣. ذخائر العرب (٦٩).

(٥) - المقرئ - السلوك - ج ٣ ص ٤٠٧.

(٦) - أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر - ج ٤ ص ١٦٣.

تتبع نيابة حلب<sup>(١)</sup>، فأرسل الأمير قراجا ابنه خليل بتقديمه وكتابه يشكر السلطان على ما أنعم به عليه، فخلع السلطان على ابنه، وجهز له تشريف<sup>(٢)</sup>.

ويذكر المقرئ أن عودة ابن دلغادر إلى طاعة السلطان المملوكي قد تم بحسن سياسة الأمير أرقطاي نائب حلب الجديد الذي تولي بدلا من يلبغا اليحياوي<sup>(٣)</sup>، الذي كان ينقم على ابن دلغادر وفي أواخر سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م تمكن قراجا بن دلغادر من الاستيلاء على قلعة كابان وربضها، وكانت من أمنع قلاع سيس<sup>(٤)</sup> مما يلي بلاد الروم وأسروا عددا كبيرا من الأرمن<sup>(٥)</sup>، وسبوا نساءها وأطفالها<sup>(٦)</sup>، وأرسل رسولا من قبله بهدية وكتاب في سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م إلى السلطان المملوكي، يذكر فيه أنه أخذ هذه القلعة التي كانت بيد الأرمن، واحتوى على ما فيها، وقتل أهلها، فأنعى السلطان عليه بها<sup>(٧)</sup>، وخلع على رسوله، وجهزت لابن دلغادر خلعة مع صاحب البريد، فأخذها نائب الشام ومنع من حملها إليه، ويذكر المقرئ السبب في ذلك بقوله: "إنه كان يكرهه، ويريد إقامة غيره، والقبض عليه"<sup>(٨)</sup>. والحقيقة أن السبب في سوء العلاقات بين الإمارة الدلغارية والسلطنة المملوكية آنذاك هو سياسة نواب الشام وحلب، الذين كانوا كثيرا ما يدخلون في نزاع وخلاف مع أمير بني دلغادر، وما يدل على ذلك أن ابن دلغادر بعد أن أعلن طاعته لسلطين المماليك وفتح لقلعة كابان من قلاع الأرمن وجدنا أن السلطان المملوكي أنعم عليه بها، لكن نائب حلب حاول أن يستنبد فيها شخصا آخر من جهة السلطان<sup>(٩)</sup>.

ويبدو أن السلطان المملوكي رفض أن ينيب عليها شخصا آخر وأنعم على ابن دلغادر بها<sup>(١٠)</sup>، ولعل هذا العمل قد اغضب كل من نائب الشام ونائب حلب، فأخذ نائب الشام خلعة السلطان إلى ابن دلغادر، ومنع

(١) - المقرئ - السلوك - ج ٣ ص ٤١٨.

(٢) - المصدر السابق - ج ٤ ص ١٥.

(٣) - كان يلبغا اليحياوي يكره ابن دلغادر كراهية شديدة وحاول الوقعة بين ابن دلغادر وأحد أمرائه ويدعى "طرفوس" أقامه الأمير يلبغا ضدا لأبن دلغادر، وأغراء به، ووعد به بمرته على التركمان، مما جعله يدخل في صراع مع ابن دلغادر، واقتتل الاثنان وانتصر ابن دلغادر بعد عدة معارك قتل فيها من الفريقين عدد كبير، فلما قدم الأمير أرقطاي إلى حلب تطف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة، وما زال يبذل جهده حتى أصلح بينه وبين غريمه طرفوس. المقرئ - السلوك - ج ٤ ص ١٦.

(٤) - كانت سيس تعد من أكبر حصون الأرمن، وتقع شمال شرق أذنة على هضبة تجاه جبال طوروس، وهي بلدة كبيرة، لها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار، وفيها قلاع صغيرة عليها أبراج مراقبة محاطة بخنادق واسعة، ولقد قاومت هذه المدينة حصار المماليك لها حوالي شهرين، قبل أن يتمكن الجيش المملوكي من دخولها وفتحها، وكانت قبلهم عاصمة الأرمن الذين يناصرون الصليبيين إلى أن سقطت على أيدي المماليك، الذين جعلوها نيابة مستقلة، ثم انتقلت منهم إلى سلطة الإمارة الدلغارية. القلقشندي - صبح الأعشى ج ٧ ص ١٩٩، دائرة المعارف الإسلامية ج ١٢ غيثاء أحمد نافع - العلاقات العثمانية المملوكية ص ٣٥.

(٥) - تاريخ ابن الوردي - ج ٢ ص ٤٩٠.

(٦) - أبو الفداء - المختصر - ج ٤ ص ١٧٦.

(٧) - المقرئ - السلوك - ج ٤ ص ٢٧.

(٨) - المصدر السابق - ج ٤ ص ٤١.

(٩) - أبو الفداء - المختصر - ج ٤ ص ١٦٧.

(١٠) - المقرئ - السلوك - ج ٤ ص ٢٧.

من إرسالها إليه، مما دفع ابن دلغادر إلى الخروج عن طاعة السلطان المملوكي وهو الذي كان تابعا لسلطنة المماليك، ويساهم في تأمين الحماية العسكرية للمنطقة الحدودية لدولة المماليك.

قراجا بن دلغادر يعلن عصيانه ويتحالف مع الثائرين على السلطان:

أعلن قراجا بن دلغادر عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان المملوكي، وبلغت جرأته حدا كبيرا حيث لقب نفسه بالملك القاهر، وقد أشار أبو الفداء إلى ما فعله ابن دلغادر بقوله: "قراجا بن دلغادر التركماني وجماعته قد شغبوا واستطالوا وغبوا وتسمي بالملك القاهر وأبان عن فجور وحمق ظاهر واغتر وطلب من صاحب سيس الحمل الذي كان يحمل إلى السلطان (١)، ولم تكن الدولة المملوكية لتقف عاجزة إزاء ما فعله زين الدين قراجا، لولا أن حدث ما لم يكن متوقعا من نائب حلب الأمير روس (٢)، الذي أعلن عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان المملوكي بمؤازرة الأمير أحمد الساقى نائب حماة، والأمير بكلمش نائب طرابلس، قد تسلطن ببيغا روس سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م في حلب، ولقب نفسه بالملك العادل (٣)، ووجد مؤازرة من قراجا بن دلغادر الذي قدم إلى حلب في جمع كبير من التركمان يعلن تأييده لبيغا روس، الذي خرج للقاءه مع نائب حماة ونائب طرابلس، وتقابلوا معه عند الدستن (٤).

ولقد بدأ نوع من التآزر والتعاون بين قراجا بن دلغادر والأمير ببيغا روس الخارج عن طاعة السلطان المملوكي، وشرع السلطان المملوكي يعد العدة للقضاء على حركة الأمير ببيغا روس، فتوجه السلطان إلى دمشق، ومنها أرسل جيشا التقى بالأمير ببيغا روس وأنصاره، فهزم ببيغا روس، وفر هاربا إلى الأمير قراجا بن دلغادر الذي تلقاه، وقام له بما يليق به، فأرسل إليه أمراء المماليك الذين هزموا ببيغاروس يطلبون من القبض على ببيغاروس وإرساله إلى حلب، فرفض ابن دلغادر تنفيذ أوامر أمراء المماليك، وأخبرهم أنه ينتظر في القبض عليه مرسوم السلطان به، وإرسال الأمان له (٥).

ويبدو أن السلطان المملوكي قد أرسل مرسوما من قبله إلى ابن دلغادر بالقبض على ببيغاروس وإرساله إلى حلب، إذا يذكر ابن كثير في حوادث سنة ٧٥٤هـ أن ابن دلغادر قد احتال على ببيغاروس وأعوانه، وسلمهم إلى قبضة نائب حلب سيف الدين أرغون الكامل، وأنه فعل ذلك خوفا من صاحب مصر (٦).

وبعد أن تم القضاء على حركة ببيغاروس بدأ السلطان المملوكي يفكر في القضاء على الأمير قراجا بن دلغادر الذي كان كثيرا ما يتمرد ويخرج عن طاعة المماليك، فأرسل إلى نائب حلب الأمير أرغون الكامل (١) يطلب

(١) - أبو الفداء - المختصر - ج ٤ ص ١٧٤.

(٢) - الأمير ببيغا روس القاسمي هو احد المماليك الناصرية، وقد تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون وهو من خاصكيته، وترقى في زمن السلطان عماد الدين إسماعيل (٧٤٣ - ٧٤٦هـ / ١٣٤٢ - ١٣٤٥م) أمير طبلخاناه، ثم ترقى في زمن الكامل سيف الدين شعبان الأول (٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) حيث أنعم عليه بتقدمة ألف، ثم تولى زمن الناصر ناصر الدين حسن (٧٤٨ - ٧٥٢هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥١م) نيابة السلطنة، ثم غضب السلطان عليه فسجنه، ثم أفرج عنه وولي نيابة حلب، وكان من عصيانه ما كان. المقرئ - السلوك - ج ٤ ص ١٨٨.

(٣) - المقرئ - السلوك - ص ١٠٦.

(٤) - الدستن - بلدة قديمة بين حمص وحماة على نهر العاص. ياقوت - معجم البلدان - ج ٢ ص ٢١٠.

(٥) - المقرئ - السلوك - ج ٤ ص ١٦٤.

(٦) - ابن كثير - البداية والنهاية في التاريخ - ج ١٤ ص ٢٤٧ دار الفكر العربي (د.ت).

منه أن يعمل الحيلة في أحضار قراجا بن دلغادر، وجهاز إليه تشريف برسمه وتقليده تقدمه التركمان، فأرسل إليه الأمير أرغون يطلب منه الحضور ليلبس التشريف السلطاني، ويقرأ عليه التقليد بحضرة أمراء حلب، ويبدوا أن الأمير قراجا كان يدرك مغزى ذلك فاعتذر عن الحضور<sup>(٢)</sup>، فأرسل السلطان المملوكي إلى الأمير أرغون الكامل الكاملي نائب حلب كتابا يأمره فيه بالركوب إلى ابن دلغادر ومحاربتة، فاعتذر الأمير أرغون بأنه قد حلف له قبل ذلك بأنه إن سير إليه ببيغا روس لا يحاربه<sup>(٣)</sup>، فأصر السلطان المملوكي على محاربة ابن دلغادر، وجهاز إليه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ومعه الكتب إلى نواب الشام لمشاركة الأمير أرغون الكامل في قتال ابن دلغادر<sup>(٤)</sup>.

وبدأ أرغون الكامل يعد عدته لقتال ابن دلغادر، بعد أن انصاع لأوامر السلطان المملوكي، الذي أمر نواب القلاع بأن يتحركوا مع أرغون الذي وصل عدد جنده إلى عشرة آلاف فارس سوى الرجال والتركمان المعارضين لابن دلغادر، ونزل الأمير أرغون على الأبلستين فنهبا وهدمها، وتوجه إلى قراجا بن دلغادر - وقد امتنع بجبل عال - فقاتلوه لمدة عشرين يوما، وجرح عدد كبير من الفريقين<sup>(٥)</sup>، فلما طال الأمر نزل إليهم قراجا، وقاتلهم صدرا من النهار قتالا شديدا، وكثر القتل في أعوانه وأنصاره، حتى انهزم وولى هاربا، ونهب الجند أمواله وحواصله، وأسروا خلقا من بني وذويه وحريمه، واخذ الجيش كثيرا من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والأمتعة<sup>(٦)</sup>.

#### محكمة قراجا بن دلغادر وإعدامه:

استمر الجند المملوكي في مطاردة قراجا بن دلغادر الذي فر إلى أطراف بلاد الروم، وظل نائب حلب يتبعه حتى قبض عليه وقيدته<sup>(٧)</sup>، وحمل إلى حلب فدخلها، وسجن بقلعتها حتى جاء كتاب من السلطان المملوكي بأمر نائب حلب بحمله إلى مصر<sup>(٨)</sup>، وفي الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٧٥٤هـ/ الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٣٥٣م وصل قراجا بن دلغادر إلى مصر وهو مقيد في زنجير من الحديد، وأقيم بين يدي السلطان المملوكي حيث عدت ذنوبه<sup>(٩)</sup>، ووجهه السلطان على ما فعل، ثم أمر بتسميره، وطافوا به في القاهرة وهو مسمر على

(١) - الأمير ارغون الكامل من ممالك الكامل شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وترقى في الخدمة حتى صار من أمراء الألوف، وولى نيابة حلب ونيابة دمشق، ثم قبض عليه وسجن ونفي إلى القدس حيث مات بها سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م. المقرئزي- السلوك- ج ٤ ص ٢٣٣.

(٢) - المقرئزي- السلوك- ج ٤ ص ١٧٨.

(٣) - المصدر السابق- ج ٤ ص ١٧٩.

(٤) - ابن كثير - البداية والنهاية- ج ١٤ ص ٢٨٦.

(٥) - المقرئزي - السلوك - ج ٤ ص ١٨١.

(٦) - ابن إياس- بدائع الزهور- ج ١ ق ١ ص ٥٥٢.

(٧) - ابن كثير - البداية والنهاية- ج ١٤ ص ٢٤٨.

(٨) - المقرئزي - السلوك- ج ٤ ص ١٨١.

(٩) - ابن إياس - بدائع الزهور- ج ١ ق ١ ص ٥٥٢.

جمل<sup>(١)</sup>، ثم أدخل إلى السجن، واستمر مسجوناً به قرابة شهرين إلى أن أصدر السلطان أمراً بإعدامه، فأخرج من السجن، ووضع تحت القلعة حيث قام النائب قبلاي بتوسطه بالسيف قتلا<sup>(٢)</sup> في الرابع عشر من ذي القعدة سنة ١٣٥٤هـ / ١٣٥٣م<sup>(٣)</sup>.

وهكذا استطاع المماليك التخلص من زين الدين قراجا بن دلغادر مؤسس إمارة بني دلغادر بعد أن سبب الكثير من المتاعب للدولة المملوكية، وتم إعدامه في القاهرة ليكون عبرة لغيره من حكام الإمارات التركمانية إذا ما فكر أحدهم في الخروج عن طاعة السلطان المملوكي.

تطور الأمور في الإمارة الدلغارية عقب قراجا:

بعد مقتل قراجا بن دلغادر استقر مكانه ابن رمضان التركماني<sup>(٤)</sup>، حيث رسم له السلطان المملوكي بالإمرة على التركمان سنة ١٣٥٥هـ / ١٣٥٤م، والسيطرة على بني دلغادر، وأنعم عليه بالإقطاع وعلى مجموعة من أصحابه ما بين إمرة عشرات وطبلخاناه<sup>(٥)</sup>.

ولعل أبناء قراجا قد شعروا بضعف نفوذهم أمام الدولة المملوكية، فقدموا في العام التالي سنة ١٣٥٥هـ / ١٣٥٥م بهدايا كثيرة للسلطان المملوكي، وأبدوا اعتذارهم عما حدث من أبيهم، فأعيد كبيرهم خليل بن قراجا إلى الإمارة<sup>(٦)</sup>، واستمرت العلاقات بين الطرفين طيبة وودية أكثر من عشرين عاما إلى أن قام السلطان المملوكي بتعيين الأمير مبارك الطازي نائبا على الأبلستين، وطلب منه مقاتله خليل بن دلغادر أمير التركمان، ولم تذكر المصادر التاريخية المتاحة السبب في هذا التغير المفاجئ في سياسة المماليك تجاه بني دلغادر، وإنما تذكر المصادر أنه في سنة ١٣٧٨هـ / ١٣٧٨م التقى أمير التركمان خليل بن دلغادر بالأمير مبارك شاه الطازي الذي عين من قبل

(١) - المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

(٢) - المقرئزي - السلوك - ج ٤ ص ١٨٣.

(٣) - اختلف الباحثون المحدثون في تاريخ وفاة قراجا بن دلغادر، فيذكر المستشرق زامبور والمؤرخ التركي خليل أدهم ألد أنهما توفى سنة ١٣٥٠هـ، ولا يأتیان بما يؤيد صحة رأيهما، بينما يرى د/ أحمد فؤاد متولي أنه توفى سنة ١٣٤٥هـ، والحقيقة أنه قتل في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ كما ذكر كل من المقرئزي وابن حجر العسقلاني وابن تغري بردي، أنظر - السلوك ج ٤ ص ١٨٣، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٢٩، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٩٤، زامبور - معجم الأنساب - ص ٢٣٥، خليل أدهم ألد - تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٤٣٠، د/ أحمد فؤاد متولي - الفتح العثماني للشام ومصر ص ٦٤.

(٤) - بنو رمضان عشيرة تركمانية وفدت مع الأتراك العثمانية في العهد السلجوقي، واستقرت في منطقة أذنة بعد أن احتلها المماليك سنة ١٣٦١هـ / ١٣٦٠م، وجعلوها نيابة تابعة لهم، وقد اعترف السلطان لأبيهم أحمد بن رمضان بحكم المصيبة وبياس وبعض نواحي وارساق وطرطوس التي استولى عليها سنة ١٣٨١هـ / ١٤١٥م، ثم توفى في العام التالي، ووقع الخلاف بين أبنائه، وانتهى بتولي ابنه إبراهيم الحكم من بعده في العام نفسه، واستمر في حكم هذه الإمارة حتى ١٤٣١هـ / ١٤٢٨م حيث قتل على يد المماليك في مصر، وقد سقطت هذه الإمارة على يد العثمانيين ١٣١٧هـ / ١٦٠٨م. القلقشندي - صبح الأعشى ج ٧ ص ١٨٩، ابن شاهين الظاهري - نيل الأمل في ذيل الدول - ج ١ ص ٢٦٦، ج ٥ ص ١٠٥، القرماني - أخبار الدول ج ٣ ص ١٠٥، زامبور - معجم الأنساب - ص ٢٣٤.

(٥) - المقرئزي - السلوك - ج ٤ ص ١٨٣.

(٦) - المصدر السابق - ج ٤ ص ٢٢١.



السلطان المملوكي نائباً على الأبلستين، وتقائلاً، فمال عليه ابن دلغادر وضرب عنقه بالسيف، وتغلب على من معه<sup>(١)</sup>.

وقمادي خليل بن دلغادر في عدائه للمماليك مما اضطر السلطان المملوكي الصالح صلاح الدين حاجي الثاني (٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م) إلى إرسال حملة عسكرية في سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م اشترك فيها الأمير أشقتمر نائب الشام بعسكر دمشق، والأمير إينال اليوسفي بعسكر حلب، والأمير كمشبغا الحموي بعسكر طرابلس، والأمير طشتمر القاسي بعسكر حماه، والأمير طشامر العلائي بعسكر صفد، بالإضافة إلى نواب القلاع وتركمان الطاعة والعربان<sup>(٢)</sup>، واتجهت الحملة العسكرية المملوكية من حلب إلى مرعش، ومنها إلى ألبستان ثم ملطية، والتركمان يفرون منهم ويتحصنون بالجلال، فلما تركهم العسكر وعادوا انقض عليهم التركمان أثناء عودتهم، وقتلوا منهم ونهبوا<sup>(٣)</sup>، فعاد إليهم الجند المملوكي، وقتلوا عددا منهم، ودخلوا إلى الأبلستين بعد أن عين السلطان المملوكي الأمير علاء الدين ألتنبغا السلطاني نائباً على الأبلستين، وأمره بمطاردة بني دلغادر والقضاء عليهم<sup>(٤)</sup>.

#### عصيان الأمير علاء الدين نائب الأبلستين وأثره على بني دلغادر

حينما نجح السلطان برقوق في القضاء على سلطنة المماليك البحرية، وأقام دعائم الدولة المملوكية البرجية سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م، ثار عليه الأمير علاء الدين ألتنبغا التركي السلطاني نائب الأبلستين<sup>(٥)</sup> ولم يحلف له، بل استولى على قلعة درندة التابعة له، وألقى القبض على بعض أمرائها، ولما لم يجد مناصرة ومؤازرة من نواب الشام الذين لم يؤيدوه في ثورته، وعلى رأسهم الأمير يلبغا الناصري الذي كتب إليه يهدده ويطلب منه العودة إلى الطاعة، لكنه آبي وفر هارباً إلى بلاد التتر<sup>(٦)</sup>.

وانتهز بنو دلغادر الاضطرابات التي حدثت آنذاك نتيجة عصيان الأمير علاء الدين ألتنبغا فقرر خليل بن دلغادر مهاجمة القوات المملوكية في بلاد درندة ودوركي<sup>(٧)</sup> ومرعش والأبلستين، حيث نهب وعاث فساداً هو وأعوانه وأنصاره، ولما علموا بقدوم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب فروا من أمامه<sup>(٨)</sup>، وإزاء هذه التطورات قرر السلطان المملوكي تعيين الأمير تمر باي الحسني نائباً على الأبلستين في سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م<sup>(٩)</sup>.

(١) - القرماني - أخبار الدول - ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) - المقرئ - السلوك - ج ٥ ص ١٢٠.

(٣) - القرماني - أخبار الدول - ج ٣ ص ١٠٠.

(٤) - المقرئ - السلوك - ج ٥ ص ١٣٧.

(٥) - المصدر السابق - ج ٥ ص ١٣٨.

(٦) - ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١١ ص ٢٢٩.

(٧) - دوركي - بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء والكاف بعد هاء النسب من بلاد الروم وهو من مضافات حلب. ياقوت -

معجم البلدان - ج ٥ ص ٢٠.

(٨) - المقرئ - السلوك - ج ٥ ص ١٦٦.

(٩) - المصدر السابق - ج ٥ ص ١٦٨.

ويبدو ان أمراء بني دلغادر أرادوا خداع السلطان المملوكي فأرسلوا سولي بن دلغادر كي يحلف بالطاعة للأمير يلبغا الناصري أمير حلب، ومكث أياما في حلب ينتظر كتاب السلطان بتعيينه <sup>(١)</sup>، لكنه فوجئ بمرسوم السلطان يطلب إلقاء القبض عليه، فأمر أمير حلب بسجنه في القلعة، حتى أتى أمر السلطان المملوكي بإحضاره إلى مصر، فتسلمه نائب حلب، وأنزله إلى الميدان، فهرب منه ليلا، وركب وراءه الأمير يلبغا الناصري ولكنه لم يدركه <sup>(٢)</sup>.

ولعل السلطان المملوكي أراد الانتقام من أمراء بني دلغادر جميعا، لأنهم سببوا الكثير من المتاعب للدولة بعصيانهم الدائم، وثوراتهم المتكررة، وخروجهم عن الطاعة، ولذلك قرر القضاء على كبيرهم الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، ولم يجد مفرا من أعمال الحيلة للقضاء على هذا الأمير، فاستمال إليه أحد أمراء التركمان، وهو الصارم إبراهيم، وحرّضه على قتله، ونجح الصارم في مهمته، حيث قتل الأمير خليل بالقرب من مدينة مرعش سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م <sup>(٣)</sup>، وعقب مقتل الأمير خليل بن دلغادر أراد السلطان المملوكي استمالة أخيه سولي بن دلغادر، فعهد إليه بنيابة أبلستين سنة ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م <sup>(٤)</sup>، لكن سولي استمر في سياسته العدائية ضد المماليك، فأمر السلطان المملوكي نواب الشام بالتوجه لقتال هذا الأمير وأعوانه، فاتهموا إليهم والتفوا بهم عند "طنون" ما بين مرعش والبستان فاستطاع التركمان هزيمة الجيش، وقتلوا عددا كبيرا منهم نائب حمّاه ونائب بهستي <sup>(٥)</sup>.

### التحالف الدلغادري العثماني:

بعد انتصار الأمير سولي بن دلغادر على الجند المملوكي بدأ يتجه بأنظاره نحو العثمانيين ليكونوا سندا له وعونا ضد المماليك، فسعى لإقامة علاقات طيبة بهم <sup>(٦)</sup>، ووطد هذه العلاقات عن طريق المصاهرة معهم، فزوج ابنته الصغرى إلى السلطان العثماني محمد جلبي <sup>(٧)</sup>، فشق على صاحب مصر الذي دس على سولي بك من يقتله كما قتل أخوه من قبل، فقتله أحد التركمان سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م أثناء نومه بالقرب من مرعش <sup>(٨)</sup>، وتوجه

(١) - المصدر السابق - ج ٥ ص ١٧٥.

(٢) - المصدر السابق - ج ٥ ص ١٧٦.

(٣) - ابن حجر العسقلاني - الدرر الكامنة - ج ٢ ص ١٧٨، ابن تغري بردي - الدليل الشافي على المنهل الصافي - ج ١ ص ٢٩٢، النجوم الزاهرة - ج ١١ ص ٣٠٩.

(٤) - ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٢ ص ١٧.

(٥) - القرواني - أخبار الدول - ج ٣ ص ١٠٠.

(٦) - محمد أحمد دهمان - العراق بين المماليك والعثمانيين - ص ٢٥.

(٧) - د/ أحمد فؤاد متولي - الفتح العثماني للشام ومصر - ص ٦٥.

(٨) - يذكر المقرئ أن أمير سولي بن زين الدين قراجا بن دلغادر التركماني قتل رجل من أقاربه يقال له علي بك، وذلك أنه غاضب وأخرجه من الأبلستين، فنزل حلب، ثم اتفق مع غلامه على القصير على قتل الأمير سولي بتدبير من السلطان المملوكي، واحتالا عليه بأن ضرب علي بك غلامه ضربا مبرحا، فمضي الغلام إلى سولي يشكو حاله، فأواه عنده، ووعد به بأخذ ثأره، فما زال عنده حتى سكر سولي ليلة وانفرد به الغلام، وضربه بسكين فقتله، ثم صاح، فلما جاءه التركمان أوهم أن بعض أعدائه اغتاله، ثم استغفلهم وهرب إلى مخدومه بحلب، فلما علم السلطان بما حدث استدعى علي بك وغلامه، وأنعم عليهم بإمرتين لعل علي بك إمرة طبلخاناه، ولعلي القصير بإمرة عشرة. المقرئ - السلوك ج ٥ ص ٤١٧، ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٢ ص ١٦٦.

ابن سولي إلى الملك الظاهر برقوق الذي قرر تعيينه مكان ابيه، فلما عاد إلى بلاده وجد ابن عمه ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر قد تولى الملك بدعم من العثمانيين، ف وقعت بينه وبين ابن عمه معركة كبيرة انتصر فيها ناصر الدين، ووطد أقدامه في حكم البلاد<sup>(١)</sup>.

ونظرا لمناصرة المماليك لابن عمه ضده فإن ناصر الدين محمد بن خليل قرر التعاون مع العثمانيين، وبدأ يوطد صلاته بهم، فذهب إلى أنقرة سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م، حيث التقى بالسلطان العثماني محمد جلبي لينال تأييده ودعمه<sup>(٢)</sup>، واستمر ناصر الدين محمد في أتباع سياسته العدائية تجاه المماليك، واخذ يناصر الخارجين والثائرين عليهم، فحينما علم أن الأمير سيف الدين جانبك الصوفي<sup>(٣)</sup> قد خرج على طاعة السلطان المملوكي برسباي وتمرد عليه، قام الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بمناصرته في سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٥م، ورفض تسليمه للمماليك، فجرد له السلطان المملوكي حملة عسكرية، فلما علم ناصر الدين باستعداد المماليك لقتاله أرسل ابنه الأمير فياض بن ناصر بن دلغادر إلى القاهرة للتقرب للسلطان، وإظهار ولائه، ولكن السلطان رفض الاستجابة لهذا التقرب، وأمر بسجنه في قلعة الجبل<sup>(٤)</sup>.

ولما علم ناصر الدين محمد بن دلغادر بما حدث لابنه أراد مدراة السلطان، وخاصة حينما علم بخروج العساكر من حلب لمحاربتة، فبعث امرأته الحاجة خديجة خاتون بهدية للسلطان، ومعها مفاتيح قيصرية التي أخذها من إبراهيم بن قرمان<sup>(٥)</sup>، وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها، وان يفرج عن ولدها فياض بن ناصر الدين المسجون بقلعة الجبل، وكتب بذلك كتابا وعد فيه بتقديم الكثير من الأموال<sup>(٦)</sup>، وسارت خديجة خاتون إلى القاهرة، ومعها كتاب الأمير ناصر الدين بن دلغار والكثير من الهدايا، فاستقبلت استقبالا طيبا من السلطان الذي قبل هداياها، وأفرج عن ابنها فياض، وخلع عليه، وأمر بتوليته نيابة مرعش<sup>(٧)</sup>، وأرسل شادي بك أحد رؤوس النواب بمال وخيل إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، وإلى والده سليمان، وكتب لهما بأن يسلم شادي بك جانبك الصوفي ليحمله إلى القلعة<sup>(٨)</sup>، فلما وصلت زوجة الأمير ناصر الدين وابنها فياض إلى

(١) - القرماني - أخبار الدول - ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) - خليل أدهم أدهم - تاريخ الدول الإسلامية - ج ٢ ص ٤٣٠.

(٣) - الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الصوفي الظاهري من ممالك الظاهر برقوق، وترقي في أيام ابنه السلطان فرج بن برقوق إلى أن صار أمير مائة، ومقدم ألف، ثم ولاه الملك المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤هـ / ١٤١٢ - ١٢٢١م) رأس نوبة النوب، ثم نقله بعد مدة إلى أمرة سلاح، ثم سجن في عهده، إلى أطلق الأمير سيف الدين ططر (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) سراحه بعد موت المؤيد شيخ، وأنعم عليه بإمرة وتقديم ألف، ثم تقدم حتى صار أتابك العسكر بالديار المصرية، وأوصاه الملك الظاهر سيف الدين ططر عند موته بتدبير ملك ولده الصالح ناصر الدين محمد (٨٢٤ - ٨٢٥هـ / ١٤٢١ - ١٤٢٢م) فلما مات الملك الظاهر ططر لم يحسن جانبك التدبير، فنفر منه الجميع، وقبض عليه وسجن بالإسكندرية، ثم هرب إلى الشام، ومنها إلى آسيا الصغرى، ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٥ ص ٢١١ - ٢١٢.

(٤) - المقرئ - السلوك - ج ٥ ص ٢٨٥.

(٥) - المصدر السابق - ج ٥ ص ٢٨٦.

(٦) - ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٥ ص ٢١٣.

(٧) - المصدر السابق - ج ١٥ ص ٢١٤.

(٨) - السخاوي - التبر المسبوك في ذيل السلوك - ج ٢ ص ٢٢٥.

زوجها ترك مدارة السلطان، وأخذ المال من شادي بك، ورفض إعطاءه الأمير جانبك الصوفي، وأعلن عصيانه للسلطان المملوكي، وتأييده للأمير جانبك الصوفي، وزوجه ابنته الأميرة نفيسة<sup>(١)</sup>.

ولما علم السلطان بما حدث من ناصر الدين محمد بن دلغادر قرر إعداد حملة عسكرية لتأديب هذا الأمير الخارج عن الطاعة، وعزم على السفر، وجمع الأمراء وحلفهم على طاعته، وعين سبعة أمراء للسفر، وألفا من المماليك السلطانية، وألفا من أجناد الحلقة، فأخذوا في الاستعداد للسفر، والتحرك إلى الأبلستين<sup>(٢)</sup>، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأمير إبراهيم بن قرمان<sup>(٣)</sup> الذي كان يتخذ موقفا معاديا للعثمانيين وتحالف مع المماليك، طلب من السلطان المملوكي بأن يملكه قيصرية وكانت بيد ناصر الدين بن دلغادر، ووعد بدفع مبلغ كبير للسلطان، الذي وافق من جانبه على مساعدته في الاستيلاء على المدينة<sup>(٤)</sup>.

وقد قلق العثمانيون من الدعم العسكري المملوكي لقرمان، ومن تعاضم نفوذ هذه الإمارة، وكرد عثماني قام السلطان العثماني مراد الثاني بتأييد جانبك الصوفي المتمرد على السلطان المملوكي، والمؤيد من قبل ناصر الدين محمد بن دلغادر<sup>(٥)</sup>.

#### بنو دلغادر وسياسة المداينة بين كل من المماليك والعثمانيين:

نتيجة لسياسة أمراء بني دلغادر توترت العلاقات المملوكية العثمانية ففي سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م فقد استنجد الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بالسلطان العثماني مراد الثاني على إبراهيم بن قرمان، الذي أخذ قيصرية بموافقة السلطان المملوكي، فجهاز مراد الثاني عسكريا لمحاصرة قيصرية وتسليمها إلى ابن دلغادر، فلما علم السلطان المملوكي بذلك كتب إلى أمراء الطاعة من التركمان بمعاونة إبراهيم بن قرمان، كما أمر نواب الشام بتوجهه لنجدته<sup>(٦)</sup>.

(١) - المصدر السابق - ج ٢ ص ٢٢٦.

(٢) - المقرئ - السلوك - ج ٧ ص ٣٠٣.

(٣) - كانت إمارة بنو قرمان واحدة من الإمارات التي قامت على أنقاض الدولة السلجوقية، لكنها كانت أكبرها وأشدّها بأسا، ولم يفقها في ذلك إلا دولة العثمانيين، وتعود نشأة هذه الإمارة إلى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م حين فتح السلطان السلجوقي علاء الدين كيغباز الأول مدينة أرمنك، وأسكن بها بعض القبائل التركمانية، وعين عليهم أميراً منهم هو كريم الدين قرمان بن نوره صوفي، الذي استمر أميراً حتى توفي سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م بعد أن استقل بإمارته التي قيل لها قرمان نسبة إليه، وكانت قاعدتها لارنده، وقد تولى من بعده ابنه، ومن أبرزهم إبراهيم بن قرمان الذي اتخذ موقفا معاديا من العثمانيين، وكتب إلى السلطان المملوكي الأشرف إينال يستعيده على السلطان العثماني محمد الفاتح، ولم يكتفِ السلطان المملوكي بكلامه بسبب صلة الصداقة آنذاك بين العثمانيين والمماليك، مما دفعه إلى الخروج على سلطنة المماليك سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٦م، فأرسل إليه السلطان حملة عسكرية لتأديبه، فاعتذر بعدها للسلطان، وطلب العفو والرضا عنه، فعفا السلطان عنه، وظلت علاقات القرمانيين بالمماليك طيبة حتى سقطت الإمارة على يد العثمانيين سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م. ابن البيي - مختصر سلجوق قنامه ص ٢٣٢، ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٢٨، القرمان - أخبار الدول - ج ٢ ص ٥١١، خليل أدهم ألد - تاريخ الدول الإسلامية - ج ٢ ص ٤١٦، زامباور - معجم الأنساب - ص ٢٣٦.

(٤) - ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٥ ص ٦١ - ٦٣.

(٥) - ابن إياس - بدائع الزهور في وقائع الدهور - ج ٢ ص ١٧٥.

(٦) - المقرئ - السلوك - ج ٧ ص ٣٢٧، السخاوي - التبر المسبوك - ج ٢ ص ٥٤٧.

وتوجهت القوات المملوكية من حلب إلى الأبلستين، ففر من أمامهم ناصر الدين بن دلغادر، فقام أمراء الحملة بنهب الأبلستين وحرقتها<sup>(١)</sup>.

ولما وجد ابن دلغادر أنه لن يستطيع الصمود أمام المماليك قبض على جانبك الصوفي، وأرسل إلى السلطان المملوكي يخبره بذلك<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة أن الأوضاع لم تهدأ أو تستقر العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية إلا بعد مقتل جانبك الصوفي، وهزيمة ناصر الدين محمد بن دلغادر، والتزامه الطاعة للسلطان المملوكي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عقد الصلح بين السلطان العثماني وإبراهيم بن قرمان في نهاية سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م وصل الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى القاهرة لتوطيد العلاقات بينه وبين المماليك، وقد بالغ السلطان المملوكي جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣م) في استقباله، حيث جهزت له الإقامة في طول طريقه، وسار كثير من أعيان الدولة إلى لقائه، ومعهم الخيول والخلع له وللأعيان الذين بصحبته، ولما قدم على السلطان جقمق أنعم عليه باستمراره على نيابة أبلستين<sup>(٤)</sup>، ولزيادة الارتباط بينه وبين هذا الأمير طلب الزواج من ابنته الأميرة نفيسة التي كانت زوجا لجانبك الصوفي<sup>(٥)</sup>، وقدمت مع والدها لزيارة مصر بعد مقتل زوجها، فوافق الأمير، ومهرها السلطان المملوكي ألف دينار بالإضافة إلى كثير من الهدايا<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م تولى الأمير سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر خلفا لبيه، وأعاد سليمان سياسة التقرب إلى العثمانيين<sup>(٧)</sup>، ونتج عن هذه السياسة أن أرسل السلطان العثماني مراد الثاني (٨٢٤ - ٨٥٥هـ / ١٤٢١ - ١٤٥١م) إلى الأمير سليمان يطلب منه تزويج ابنته سیتی مكرمة خاتون لابنه الأمير محمد<sup>(٨)</sup>، ويرى المؤرخ التركي خليل أدهم ألد<sup>(٩)</sup> أن مراد الثاني حاول أن يحصل بهذه الزيجة على حليف من التركمانيين ضد بني قرمان وضد القرا قوينلو<sup>(١٠)</sup>.

(١) - ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٥ ص ٦١.

(٢) - ابن حجر - أنباء الغمر بأبناء العمر - ج ٨ ص ٣٤٣.

(٣) - السخاوي - التبر المسبوك - ج ٢ ص ٥٤٨.

(٤) - ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٥ ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٥) - ابن تغري بردي - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور - ج ١ ص ٤٧.

(٦) - ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٥ ص ٣٧٨.

(٧) - محمود شاكر - التاريخ الإسلامي - ج ٨ ص ٥٦.

(٨) - د/ احمد فؤاد متولي - الفتح العثماني للشام ومصر - ص ٦٥.

(٩) - خليل أدهم ألد - تاريخ الدول الإسلامية - ج ٢ ص ٤٣١.

(١٠) - ظهرت إمارة القرا قوينلو (الشاة السوداء) في الربيع الأخير من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ويرى البعض أن اسمهم يعود إلى لون أغنامهم، بينما يرى البعض الآخر أنه يعود إلى لون أعلامهم، وكانت هذه الإمارة في الأصل قبيلة من قبائل التركمان، انحدرت من أماكنها القديمة في بلاد التركستان، واتجهت إلى بلاد أذربيجان بزعماء بيرام خواجه، الذي عمل في خدمة السلطان أويس الجلائري، وبعد وفاته استولى بيرام خواجه على الأماكن الواقعة جنوبي بحيرة وان، ودخلت الموصل وسنجار وأرجيسن تحت نفوذه، واحتفظ بالحكم هناك

ولما توفي الأمير سليمان سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م خلفه الأمير ملك أرسلان بك، الذي اتبع سياسة المداينة والملاينة بين كل من المماليك والعثمانيين ليحظى بصداقتهما معا<sup>(١)</sup>، فتقرب من السلطان العثماني محمد الفاتح، وقوى علاقته به، فأغضب بذلك السلطان المملوكي، فكتب إليه يعتذر بأن ما يفعله مع السلطان العثماني محمد الفاتح إنما هو مصانعة له، لكون بلاده متاخمة للعثمانيين، ولا يمكنه مشاققته لكونه لا طاقة له به، فتظاهر السلطان المملوكي بقبول اعتذاره، واتجه إلى حسن الطويل زعيم الآق قوينلو (الشاه البيضاء)<sup>(٢)</sup> يأمره بالاستيلاء على خرتبرت<sup>(٣)</sup>، وأوعز في الوقت نفسه إلى ملك أرسلان أن يقاوم حسن الطويل، ويبدوا أن السلطان المملوكي كان يسعى للتخلص من هذين الأميرين التركمانيين الذين لا يثبتان على الولاء لأحد، فأراد أن يضرب أحدهما بالآخر<sup>(٤)</sup>، ولكن الذي حدث أن ملك أرسلان سلم خرتبرت بغير قتال للأمير حسن الطويل، لأنه لم تكن لديه القوة الكافية لمقاتلته، أو لعله تعتمد تسليم المدينة نكاية في السلطان المملوكي<sup>(٥)</sup> الذي شق ذلك على نفسه، فلما أتى الأمير ملك أرسلان إلى مصر، وبينما كان يؤدي صلاة الجمعة في المسجد سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م<sup>(٦)</sup> وثب عليه فدائي من طائفة الإسماعيلية وضربه بسكين حاد فقتله، وقد حامت الظنون

حتى وفاته سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م، ثم تولى من بعده ابنه قرا محمد تورمسن الذي يعد المؤسس الحقيقي للإمارة القرا قونيلية، التي كان يدين أصحابها بالمذهب الشيعي، ومن أبرز أمراء هذه الإمارة قرا يوسف الذي استطاع الاستيلاء على تبريز، ومد سيطرته على كل أذربيجان، ونجح في ضم العراق إليه، وأرسل ابنه محمد شاه نائباً عنه في بغداد، وأخذ يعمل على توسيع رقعة بلاده حتى توفي سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م، وموته بدأت الخلافات تدب بين القرا قونيلية من أجل النزاع على الحكم، حتى تمكن الأمير حسن الطويل زعيم الآق قوينلو (الشاه البيضاء) من هزيمتهم، والسيطرة على ممتلكاتهم سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٧م. ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ج ١٤ ص ١٦٣، القرمانلي - أخبار الدول ج ٣ ص ٩١، ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب - ج ٩ ص ٢٣٧، عباس إقبال - تاريخ إيران - ٦٢٩، ستانلي لين بول - طبقات الإسلام - ص ٢٣٥.

(١) - د/ سالم الرشيد - محمد الفاتح - ص ٣٠٤.

(٢) - إمارة الآق قوينلو (الشاه البيضاء) (٨٠٦ - ٩١٤هـ / ١٤٠٣ - ١٥٠٨م) ظهرت هذه الإمارة سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م، وهي عشيرة تركمانية كبيرة هاجرت من تركستان إلى أذربيجان، ثم إلى نواحي ديار بكر، ثم استقرت في النهاية بالأراضي الواقعة بين آمد والموصل، وكونوا إمارتهم في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكانوا يعتنقون المذهب المذهب السني، ويعد قره أيلوك عثمان المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة، وكانت علاقة هذه الإمارة بكل من المماليك والعثمانيين غير طيبة، وكانت الدولتان تعدان هذه الإمارة خطراً عليها سواء بسواء، وقد ظهر العداء واضحاً بين أمراء الآق قوينلو وكل من المماليك والعثمانيين في زمن زعيمهم حسن الطويل، الذي أعلن الحرب على المماليك والعثمانيين معاً، وأعد جيشين لمهاجمة المماليك والعثمانيين، وبقي هو في جيش ثالث استعداداً لمن يحتاج إلى المعونة والمساعدة، وتحرك الجيش التركماني الذي بلغ زهاء مائة ألف مقاتل بقيادة الوزير عمر بك ويوسف ابن عم حسن الطويل لقتال العثمانيين، وبرر قادة الجيش هجومهم على الدولة العثمانية بأنهم يريدون العبور إلى إمارة دغاغر، ثم انقضوا على مدينة توقات، ومنها اتجهوا إلى قونية، والتقوا بالجيش العثماني الذي هزم التركمان شر هزيمة، ولم يستطع حسن الطويل التصدي للعثمانيين، حتى شغل بإخماد ثورة أخيه وابنه، ثم بتنظيم شؤون الدولة في فارس والعراق حتى توفي، وأتت دولته بوفاته، ابن تغري بردي - حوادث الدهور - ج ١ ص ٣٠٢، ابن إبابس - بدائع الزهور - ج ١ ص ٣٠٦، د/ سالم الرشيد - محمد الفاتح ص ٣١١، د/ محمد أنيس - الدولة العثمانية ص ٥٧.

(٣) - خرتبرت - حصن يقع في أقصى ديار بكر بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما نهر الفرات (البغدادى) - مرصد الإطلاع ج ١ ص ٤٥٧.

(٤) - د/ سالم الرشيد - محمد الفاتح ص ٣٠٥.

(٥) - المرجع السابق.

(٦) - ابن شاهين الظاهري - نيل الأمل في ذيل الدول ج ٦ ص ٢٣٢.

والشبهات في حادث هذا الاغتيال حول السلطان المملوكي خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ / ١٤٦١-١٤٦٧م)، الذي ظن بأنه أرسل الفداوى لهذا الأمر بتأمر من شاه بوداق شقيق أرسلان، الذي كان يؤيده السلطان المملوكي، لاعتقاده بأن أرسلان قد سلم خربت إلى الأمير حسن الطويل<sup>(١)</sup>.

التنافس المملوكي العثماني على النفوذ في إمارة بني دلغار:

بدأ التنافس بين المماليك والعثمانيين على النفوذ يظهر واضحا في زمن الأمير شاه بوداق الذي عين نائبا على الأبلستين من قبل السلطان المملوكي خشقدم وقد لقي شاه بوداق معارضة من أخيه شاه سوار الذي ساءه أن يقتل أخوه عذرا بتأمر من شاه بوداق فاستعان بالسلطان العثماني محمد الفاتح لكي يتوسط لدى السلطان المملوكي خشقدم في تعيينه نائبا خلفا لأخيه ملك أرسلان فأرسل السلطان محمد الفاتح رسالة إلى السلطان خشقدم يطلب منه فيها النيابة لشاه سوار، ورفض السلطان المملوكي الاستجابة لطلب السلطان العثماني الذي بادر بإرسال قوة عسكرية لمساندة شاه سوار الذي نجح في الاستيلاء على ألبستان وفر شاه بوداق من أمامه إلى مرعسن<sup>(٢)</sup> ولم يكن السلطان المملوكي ليقبل بالتدخل العثماني في شئون إمارة بني دلغار فأمر في سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م بإعداد حملة عسكرية لتأديب شاه سوار والقضاء على تمرده ولكن أمر هذه الحملة لم ينفذ ويبدو أن السبب في عدم خروجها هو ثورة أهل ألبستان على سوار ورفضهم لإمرته عليهم مما اضطره إلى الفرار من المدينة حيث أمر السلطان المملوكي بتعيين عمه الأمير رستم بدلا منه ومن أخيه شاه بوداق الذي لم يستطع التصدي لشاه سوار<sup>(٣)</sup>.

لكن شاه سوار عاد مرة أخرى إلى ألبستان واصطدم بعمه رستم ونشب القتال بينهما ولعل رستم قد هزم في القتال مع شاه سوار حيث أرسل السلطان إلى نائب حلب ليقوم بعزل رستم وإعادة شاه بوداق على الحكم<sup>(٤)</sup>.

ولم تفلح محاولات السلطان المملوكي خشقدم في التغلب على شاه سوار الذي يجد مساندة ومؤازرة من السلطان العثماني وما ساعد على ازدياد نفوذه وفاة السلطان المملوكي خشقدم في سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م واضطراب الأحوال السياسية في مصر عقب وفاته حيث بويغ أتابك العسكر أبو النصر سيف الدين بلباي المؤيد وتولى أتابكية العسكر الأمير قمرغا الظاهري<sup>(٥)</sup> الذي قام بخلع السلطان بلباي بعد شهرين وتولى مكانه ولقب بالملك الظاهر أبي سعيد<sup>(٦)</sup> لكن ملكه لم يدم بدور أكثر من شهرين إذا لم يستطع إرضاء المماليك الخشقدمية وقائدهم خاير بك الذي قبض عليه ليلا وأعلن نفسه سلطانا على البلاد<sup>(٧)</sup> لكن الأتابكي قايتباي أسرع إلى القلعة واستطاع السيطرة على الأمور وقبض على خاير بك الذي لم يمكث في السلطنة سوى ليلة واحدة حتى أطلق العامة عليه "سلطان ليلة"<sup>(٨)</sup> وفي الصباح بايع الخليفة والقضاة الأربعة قايتباي بالسلطنة وتلقب بالسلطان الملك الأشرف قايتباي<sup>(٩)</sup>.

(١) - القرماني - أخبار الدول ج ٣ ص ١٠١.

(٢) - ابن إياس - بدائع الزهور ج ٢ ص ٤٣٦، السخاوي - الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٤.

(٣) - ابن شاهين الظاهري ك نيل الأمل في ذيل الدول ج ٦ ص ٢٤٣.

(٤) - ابن إياس - بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٢ ص ٤٤٩.

(٥) - السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٤٤١ (مطبوعة السعادة سنة ١٩٥٢م).

(٦) - المصدر السابق - ج ٣ ص ٧.

(٧) - ابن إياس - بدائع الزهور - ج ٢ ص ٤٧٤.

(٨) - المصدر السابق - ج ٣ ص ٧.

(٩) - مجير الدين الحنبلي - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - ج ٢ ص ٢٨٢ (عمان سنة ١٩٩٩م).

وقد استطاع قايتباي أن يعيد للدولة هيبتها ومكانتها في الداخل والخارج وأن يلحق الخارجين عليها دروساً قاسية فقد واجه قايتباي بمجرد جلوسه على عرش مصر فتنة شاه سوار الذي كان يتمتع بتأييد العثمانيين والذي أعلن استقلاله وشرع أن يهاجم أطراف الدولة المملوكية، والحقيقة أن قايتباي رفض أن يهادن هذا الرجل، وبادر بإرسال عدة حملات عسكرية ضده، ونجحت الحملة الأخيرة التي أرسلها قايتباي سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١م في إنزال الهزيمة لشاه سوار والقبض عليه وإرساله إلى القاهرة حيث شنع على باب زويلة<sup>(١)</sup>، وبعد مقتل شاه سوار أمر السلطان المملوكي أن يتولى شؤون الإمارة أخوه شاه بوداق<sup>(٢)</sup> الذي وجد منافسة من الأمير علاء الدولة<sup>(٣)</sup> بن سليمان بن دلغادر، الذي دعمه السلطان العثماني، وسانده كي يحكم الإمارة الدلغارية، ويبدو أن شاه بوداق أراد التعاون مع الآخر مع العثمانيين، حتى يدعم نفوذه وسلطانه ضد علاء الدولة، الذي تمكن من التغلب عليه، واستولى على الأمور في داخل الإمارة، لكنه لم يفلح في ذلك حيث نجح المماليك في إلقاء القبض عليه سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، حيث قيد في الحديد، وأرسل إلى القاهرة، وسجن بالقلعة<sup>(٤)</sup>.

أما علاء الدولة فقد طلب من الأمير أوزبك الصغير الخازندار الظاهري الذي فوضت إليه أمور بلاد الشام أن يتوسط بينه وبين السلطان قايتباي للموافقة على طلبه، والاعتراف بإمارته، واستجاب السلطان، وخلع عليه، واعترف به حاكماً على الإمارة<sup>(٥)</sup>.

إلا أن علاء الدولة سرعان ما انقلب على المماليك، وعاد إلى التعاون مع العثمانيين، وهاجم ملطية التابعة للدولة المملوكية سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م<sup>(٦)</sup>، والحقيقة أن هذا العمل الذي قام به علاء الدولة لم يكن بمثابة خروج عن طاعة السلطان المملوكي فحسب، بل كان بمثابة تصدع لأهم الدعائم الدفاعية المملوكية في جنوب شرق الأناضول، لذلك وحرصاً من قايتباي على عدم تكرار قضية شاه سوار شقيق علاء الدولة أرسل في المحرم سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م حملة عسكرية لتأديب حاكم دلغادر، كان على رأسها أمير السلاح<sup>(٧)</sup> تمتاز الشمس الأشرفي ابن أخت السلطان قايتباي، وبصحبه أوزبك الصغير الخازندار<sup>(٨)</sup> الظاهري أحد مقدمي الألفوف، وعدد من الأمراء، وما يزيد على الألف من مماليك السلطان<sup>(٩)</sup>.

وقد بدأ أول صدام مسلح بين الطرفين واشتد القتال وقتل نائب حلب ونائب صفد وأسر نائب طرابلس، إلا أن تمتاز الشمس نجح في أن ينزل الهزيمة بقوات علاء الدولة وأعوانه من الجند العثماني، وقتل عدداً كبيراً منهم، وأسر عدداً كبيراً آخر<sup>(١٠)</sup>، ومع ذلك فإن سلطنة المماليك استمرت تعاني الكثير من المتاعب من جانب إمارة دلغادر، لأن علاء الدولة

(١) - البصروي - تاريخ البصري - ص ٥٦ (دار المأمون للتراث سنة ١٤٠٨هـ).

(٢) - ابن شاهين الظاهري - نيل الأمل في ذيل الدول - ج ٧ ص ٤٣ - ٤٤.

(٣) - هو الأمير علاء الدولة بن سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر، وكان يلقب في بعض المصادر تحت مسمى "على دولات". ابن الحمصي - حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران - ج ١ ص ٢٩٤، ابن طولون - مفاكهة الخلال في حوادث الزمان - ج ١ ص ٣٢ - ٣٣.

(٤) - ابن طولون - مفاكهة الخلال - ج ١ ص ٣٠.

(٥) - ابن شاهين الظاهري - نيل الأمل في ذيل الدول - ج ٧ ص ٢٩٠.

(٦) - ابن إياس - بدائع الزهور - ج ٢ ص ٢٠٢.

(٧) - أمير السلاح لقب لمن يتولى أمر سلاح السلطان. القلقشندي - صبح الأعشى - ج ٥ ص ٤٢٨.

(٨) - الخازندار هو الذي يتولى خزانة السلطان من حيث النقد والقماش وغيرها. القلقشندي - صبح الأعشى - ج ٤ ص ٢١.

(٩) - ابن طولون - مفاكهة الخلال - ج ١ ص ٥٤ - ٥٥.

(١٠) - ابن الحمصي - حوادث الزمان - ج ١ ص ٢٩٤.



كان واقعا تحت تأثير العثمانيين وتحريضهم، وإن كان تفوق الجيش المملوكية على الجيوش العثمانية في ذلك الدور جعل علاء الدولة يلتزم جانب الحرص في معاملاته مع دولة المماليك، ويتوحد إليها<sup>(١)</sup> في الفترة التي حدثت فيها صدامات بينهم وبين العثمانيين (٨٩٠ - ٨٩٦ هـ / ١٤٨٥ - ١٤٩٢ م)<sup>(٢)</sup>، فانتهج علاء الدولة سياسة تقوم على التقرب والتودد بهدف إعادة العلاقات السياسية إلى مجراها الطبيعي، فأقدم على تزويج ابنته من ابن القائد المملوكي المنتصر أزنك الصغير الخازندار الظاهري<sup>(٣)</sup>، ولم يكتف بذلك بل أطلق سراح جماعة من المماليك المأسورين لديه، وفي سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م حينما وصل الجيش المملوكي إلى حلب توطأة للهجوم على كليشيا أرسل علاء الدولة يسأل الصلح مع السلطان المملوكي، وعلى الرغم من أن طلبه رفض إلا أنه أبقى الانضمام في العامين التاليين (٨٩١ - ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ - ١٤٨٧ م) إلى الجيش العثماني في حملته المتوجهة لقتال المماليك، ورفض الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة ضدهم، رغم استمرار تحالفه مع العثمانيين في الظاهر<sup>(٤)</sup>.

ومما لا شك فيه أن مواقف علاء الدولة تجاه دولة المماليك قد أثارت شكوك السلطان العثماني بايزيد الثاني تجاه علاء الدولة، فقرر العمل على عزله عن الإمارة، وتقديم العون لأخيه شاه بوداق المنافس له على الحكم، والذي هرب من بين أيدي المماليك سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م<sup>(٥)</sup>، وتحرك شاه بوداق إلى الأبلستين سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩١ م ومعه مدد من الجند العثماني، وهاجم أخاه علاء الدولة وقبض على اثنين من أبنائه<sup>(٦)</sup>، وحينما وصل الخبر إلى السلطان المملوكي أمر بتجهيز حملة عسكرية لمساندة علاء الدولة، وجعل على رأسها الأمير قانصوه الشامي<sup>(٧)</sup>، ولتوثيق أواصر التعاون مع أمير دلغادر أرسل خلعة إلى عبد الرازق شقيق علاء الدولة، وأمر بتعيينه في أتابكية حمه عوضا عن ابن طرغل الذي نقل إلى نيابة طرسوس<sup>(٨)</sup>، وتمكن بذلك الأمير علاء الدولة من هزيمة شاق بوداق وأعوانه العثمانيين<sup>(٩)</sup>.

(١) - د / سعيد عاشور - مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك - ص ٣٨٣.

(٢) - عقب انتصار الجيش المملوكي على علاء الدولة وأعوانه من الجند العثماني، اضطر العثمانيون إلى معاودة القتال في سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م مع المماليك، فانتصر الجند المملوكي انتصارا ساحقا، وعقب هذه المعركة سعى السلطان قايتباي إلى الصلح مع السلطان العثماني بايزيد، فأرسل له هدية بنحو عشرة آلاف دينار، كما أرسل الخليفة العباسي إليه تقليدا بتوليته كل ما تحت يده من بلاده، ومع التقليد رسالة لإزالة هذه الفتنة وعودة الود والصلح بينه وبين السلطان المملوكي، وفي العام نفسه عاد المبعوث المصري جاني بك حبيب من عند السلطان العثماني، وأخبر المماليك بأن السلطان العثماني يرفض الصلح، ويتوعد الجيش المصري، فشرع المماليك يستعدون لجولة جديدة مع العثمانيين، وفي العام التالي وقع الصدام وهزم المماليك العثمانيين هزيمة كبيرة، وأسر قائد الجيش العثماني أحمد بك هرسك، ولم يكن السلطان العثماني ليقبل بمهمة الهزيمة فالتقى جيشه مع الجيش المملوكي سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م، ودارت الدائرة على الجيش العثماني وغنم المصريون منهم أشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك، واستمرت المعارك المتقطعة بين الجانبين حتى استقر الرأي بعد مفاوضات متصلة على عقد الصلح بين السلطان العثماني بايزيد والسلطان المملوكي قايتباي، وتم الصلح وتبادل الجانبان الهدايا والمجاملات الودية. ابن إياس - بدائع الزهور - ج ٣ ص ٢١٠ - ٢٢١، تاريخ البصري - ١٤٧ - ١٤٨، محمد أحمد دهمان - العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك - ص ١٦٦.

(٣) - غيثاء أحمد نافع - العلاقات العثمانية المملوكية - ص ١٣٥.

(٤) - المرجع السابق - ص ١٣٦.

(٥) - ابن طولون - مفاكهة الخلان - ج ١ ص ٦٨.

(٦) - ابن إياس - بدائع الزهور - ج ٣ ص ٢٦٤.

(٧) - السخاوي - الضوء اللامع - ج ٦ ص ١٩٩.

(٨) - ابن إياس - بدائع الزهور - ج ٣ ص ٢٦٤.

ولم يكد علاء الدولة يفرغ من قتال أخيه شاه بوداق حتى تعرض للغزو من الشاه إسماعيل الصفوي، الذي كان يسعى إلى نشر المذهب الشيعي في الأناضول، وتحرك بقواته في جمادي الثانية سنة ٩٣١هـ/ أكتوبر ١٥٠٧م لمهاجمة الأبلستين ومرعش، واستطاع أن ينزل بعض الهزائم بعلاء الدولة<sup>(٢)</sup>.

وعندما سار السلطان العثماني سليم الأول على رأس جيوشه سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م لمحاربة الشاه إسماعيل الصفوي، بعث رسولا من قبله إلى علاء الدولة بن دلغادر، يطلب منه المشاركة في حرب الصفويين، اعتذر علاء الدولة متعللا بكبر سنه، وأنه لا يستطيع القيام بأي مجهود لكونه تحت حماية المملوكية، ولم يكتف علاء الدولة بذلك، وإنما قام بخطوة عدائية ضد العثمانيين عندما هاجم القوافل العثمانية التي كانت ترسل الإمدادات للجيش العثماني<sup>(٣)</sup>.

فلما عاد السلطان سليم من حربه مع شاه إيران إسماعيل الصفوي أمر سنان باشا الصدر الأعظم<sup>(٤)</sup> بمحاربة علاء الدولة والقضاء عليه، فتحرك الصدر الأعظم في غرة جمادي الأولى ٩٢١هـ/ ١٥١٥م على رأس جيش قوامه عشرة آلاف جندي، والتقى مع جيش علاء الدولة في معركة كبيرة، قتل فيها علاء الدولة وأربعة من أولاده، وثلاثون من أمرائه، وعدد كبير من جنده<sup>(٥)</sup>.

ومنح السلطان العثماني حكم إمارة دلغادر لعلي بن شاه سوار، وبعد مقتل علاء الدولة لم يعد للمماليك نفوذ في الإمارة التي صارت تابعة للعثمانيين، واشترك أمير دلغادر مع العثمانيين في معاركهم ضد المماليك أثناء فتح الشام في ٢٥ من رجب سنة ٩٢٢هـ/ ٢٤ من أغسطس سنة ١٥١٦م حيث هزم المماليك في موقعة مرج دابق<sup>(٦)</sup>.  
إلا أن العلاقة ساءت بين السلطان العثماني سليم الأول وعلى بن شاه سوار، فدبر له السلطان مؤامرة أدت إلى مقتله ومقتل أولاده، وخضوع إمارة بني دلغادر للحكم العثماني سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م<sup>(٧)</sup>.

(١) - ابن طولون- مفاكهة الخلان- ج ١ ص ١٠٧.

(٢) - د/ أحمد فؤاد متولي- الفتح العثماني للشام ومصر- ص ٧٤.

(٣) - ابن الحمصي- حوادث الزمان- ج ٣ ص ٢٧٢.

(٤) - الصدر العظم يعادل رئيس الوزراء حاليا.

(٥) - ابن إياس- بدائع الزهور في وقائع الدهور- ج ٤ ص ٤٣٥، ٤٥٨.

(٦) - المصدر السابق- ج ٥ ص ٦٠، ٦٤، ٦٨.

(٧) - القرماني- أخبار الدول- ج ٣ ص ١٠٠.